

840) 514 من قراءة من تفسير السعدي\الجزء(2) سورة آل عمران (41 من الآيات:) 551-441) كبار العلماء

عبدالرحمن السعدي

ثم قال تعالى مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبه شيئاً وسيجزي الله الشاكرين. يقول تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ليس بيدع من الرسل بل هو من جنس الرسل الذين قبله. وظيفتهم تبلغ رسالات ربهم وتنفيذ اوامرها.

ليسوا بمخلدين وليس بقاوهم - 00:00:00

شرط في امتثال اوامر الله. بل الواجب على الامم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال. ولهذا قال افان مات او قتل انقلبتم على اعقاب بترك ما جاءكم به من ايمان او جهاد او غير ذلك. قال الله تعالى ومن انقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً - 00:00:40 ما يضر نفسه والا فالله تعالى غني عنه. وسيقيم دينه ويعز عباده المؤمنين. فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبه مدح مع رسوله وامتثل امر ربه فقال وسيجزي الله الشاكرين. والشكر لا يكون الا بالقيام ب العبودية لله تعالى في كل حال. وفي - 00:01:00 في هذه الآية الكريمة ارشاد من الله تعالى لعباده ان يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن ايمانهم. او عن بعض لوازمه فقد رئيس ولو عظم وما ذاك الا بالاستعداد في كل امر من امور الدين. بعدة اناس من اهل الكفاءة فيه. اذا فقد احدهم قام به غيره. وان يكون عموم المؤمنين - 00:01:20

ان قصدهم اقامة دين الله والجهاد عنه. بحسب الامكان لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس. في بهذه الحال يستتب لهم امرهم وتستقيم امورهم. وفي هذه الآية ايضاً اعظم دليل على فضيلة الصديق الراكمي بكر. واصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله - 00:01:40

صلى الله عليه وسلم لانهم هم سادات الشاكرين. وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤتيه منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها - 00:02:00

سنجزي الشاكرين. ثم اخبر تعالى ان النفوس جميعها متعلقة بآجالها. باذن الله وقدره وقضائه. فمن حتم عليه بالقدر ان يموت مات ولو بغير سبب. ومن اراد بقاءه فلو اتى من الاسباب كل سبب لم يضره ذلك قبل بلوغ اجله. وذلك ان الله - 00:02:20 احق الله وقدره وكتبه الى اجل مسمى. اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. ثم اخبر تعالى انه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلقت به ايراداتهم فقال ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها. قال الله - 00:02:40 الله تعالى كلاماً نمد هؤلاء وهم من عطاء ربنا. وما كان عطاء ربنا محظوراً. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض. ولا اخرة اكبر درجات واماكن تفضيلاً. وسيجزي الشاكرين. ولم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمتها. ولعلم ان الجزء على - 00:03:00 الشكر قلة وكثره وحسناً فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا. والله يحب الصابرين هذا تسليمة للمؤمنين وحث على الاقتداء بهم والفعل ك فعلهم. وان هذا امر قد كان متقدماً. لم تزل سنة الله جارية بذلك - 00:03:20

ذلك فقال وكأي من النبي اي وكم من قاتل معه ربيون كثير اي جماعات كثيرون من اتباعهم الذين قد ربتهم انباء بالايمان والاعمال الصالحة. فاصابهم قتل وجراح وغير ذلك. فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا. اي - 00:03:50 ضعفت قلوبهم ولا وهنت ابدانهم ولا استكانوا. اي ذلوا لعدوهم بل صبروا وثبتوا وشجعوا انفسهم. ولهذا قال والله يحب الصابرين. ثم ذكر قولهما و واستنصرتهم لربهم فقالوا اغفر لنا ذنوبنا و اسرافنا في امرنا. ربنا اغفر لنا ذنوبنا و اسرافنا في امرنا - 00:04:10

او ثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. وما كان قولهم اي في تلك المواطن الصعبة الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا. والاسراف هو مجاوزة الحد الى ما حرم. علموا ان الذنوب والاسراف من اعظم اسباب - 00:04:40

خذلان وان التخلی منها من اسباب النصر. فسألوا ربهم مغفرتها ثم انهم لم يتکلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر. بل اعتمدوا على الله وسائله ان يثبت اقدامهم عند ملاقة الاعداء الكافرين. وان ينصرهم عليهم فجمعوا بين الصبر وترك ضده. والتوبة والاستغفار والاستنصار - 00:05:00

بربهم لا جرم ان الله نصرهم وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة. ولهذا قال فاتاهم الله ثواب الدنيا فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصر والظفر والغنية وحسن ثواب الآخرة وهو الفوز برضى ربهم والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المندادات وما ذاك الا انه - 00:05:20

هم احسنوا له الاعمال فجازاهم باحسن الجزاء. فلهذا قال والله يحب المحسنين في عبادة الخالق ومعاملة الخلق ومن الاحسان ان يفعل عند جهاد الاعداء كفعل هؤلاء الموصوفين. ثم قال تعالى - 00:05:50

الذين كفروا يريدوكم على اعقابكم فتنتقلبوا خاسرين وهذا نهي من الله للمؤمنين ان يطيعوا كثيرين من المنافقين والمشركين فانهم ان اطاعوهم لم يريدوا لهم الا الشر. وهم قصدتهم ردهم الى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران - 00:06:10

الله مولاكم وهو خير الناصرين ثم اخبر انه مولاهم وناصرهم ففيه اخبار لهم بذلك وبشارة بأنه سيتولى امورهم بلطشه. ويعصمهم من انواع الشرور. وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذ وحده ولها وناصرها من دون كل احد - 00:06:30

ماواهم وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين فمن ولایته ونصره لهم انه وعدهم انه سيلقي في قلوب اعدائه من الكافرين الرعب. وهو الخوف العظيم الذي يمنعهم من كثير من مقاصدهم وقد فعل تعالى وذلك ان المشركين بعدما انصرفوا من وقعة احد تشاوروا بينهم فقالوا كيف نصرف بعد ان قتلنا منهم من - 00:06:50

قتلنا وهزمناهم ولما نستأصلهم فهموا بذلك. فالقى الله الرعب في قلوبهم فانصرفوا خائبين. ولا شك ان هذا من اعظم النصر انه قد تقدم ان نصر الله لعباده المؤمنين لا يخرج عن احد امررين. اما ان يقطع طرفا من الذين كفروا او يكتبهم فينقلبوا خائبين - 00:07:30

وهذا من الثاني. تم ذكر السبب الموجب للقاء الرعب في قلوب الكافرين. فقال بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا. اي ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الانداد والاصنام. التي اتخذوها على حسب اهوائهم واراداتهم الفاسدة. من غير حجة ولا برهان وانقطعوا من ولایة واحدة - 00:07:50

الرحمن فمن ثم كان المشرك مرعوبا من المؤمنين لا يعتمد على ركن وثيق وليس له ملجاً عند كل شدة وضيق. هذا حاله في الدنيا واما في الآخرة فأشد واعظم. ولهذا قال وماواهم النار. اي مستقرهم الذي يأوون اليه وليس لهم عنها خروج. وبئس مثوى - 00:08:10

والظالمين بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار متواهم وقد عفا عنكم الله ذو فضل على المؤمنين. اي ولقد صدقكم الله الله وعده بالنصر فنصركم عليهم حتى ولوكم اكتافهم وطفقتهم فيهم قتلى حتى صرتم سببا لانفسكم وعونا لاعدائكم - 00:08:30

فلما حصل منكم الفشل وهو الضعف والخور. وتنازعتم في الامر الذي فيه ترك امر الله بالائتلاف وعدم الاختلاف. فاختلتكم فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم. ومن قائل ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو ولم يبقى محذور فعصيتم الرسول وتركتم - 00:09:20

امرها من بعد ما اراكم الله ما تحبون. وهو انخذال اعدائكم. لأن الواجب على من انعم الله عليه بما احب اعظم من غيره. فالواجب في هذه خصوصا وفي غيرها عموما. امثال امر الله ورسوله. منكم من يريد الدنيا وهم الذين اوجب لهم ذلك ما اوجب. ومنكم من يريد الآخرة - 00:09:40

وهم الذين لزموا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وثبتوا حيث امرموا ثم صرفكم عنهم. اي بعدما وجدت هذه الامر منكم الله وجوهكم عنهم. فصار الوجه لعدوكم ابتلاء من الله لكم وامتحانا. ليتبين المؤمن من الكافر والطائع من العاصي وليكفر - 00:10:00

عليهم بالاسلام وهداهم لشرائعه وعفا عنهم سينائهم واثابهم على مصباتهم. ومن فضله على المؤمنين انه لا يقدر - 00:10:20
خيرا ولا مصيبة الا كان خيرا لهم ان اصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين وان اصابتهم ضراء فصبروا جازاهم جزاء
الصابرين ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون يذكرهم تعالى حالهم في وقت انهزامهم - 00:10:40

عن القتال ويعاتبهم على ذلك فقال اذ تصعدون اي تجدون في الهروب ولا تلوون على احد اي لا يلوي احد منكم على احد ولا ينظر
اليه بل ليس لكم هم الا الفرار والنجاة عن القتال. والحال انه ليس عليكم خطر كبير. اذ لستم اخر الناس مما يلي الاعداء ويباشر -
00:11:20

بل الرسول يدعوكم في اخراكم. اي مما يلي القوم يقول الي عباد الله فلم تلتقطوا اليه ولا عرجتم عليه فرار نفسه موجب للوم ودعوة
الرسول الموجبة لتقديمه على النفس. اعظم لو ما بتخلفكم عنها فاثابكم اي جزاكم على فعلكم - 00:11:40
غما بغم اي غما يتبع غما غم بفوائد النصر وفوائد الغنية وغم بانهزامكم وغم انساكم كل غم وهو سماحكم ان محمدا صلى الله عليه
وسلم قد قتل. ولكن الله بلطفه وحسن نظره لعباده. جعل اجتماع هذه الامور لعباده المؤمنين خيرا لهم. فقال - 00:12:00
لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والظفر. ولا ما اصابكم من الهزيمة والقتل والجرح. اذا تحققتم ان الرسول صلى الله عليه
وسلم لم يقتل هانت عليكم تلك المصيبات واغتبتم بوجوده المصلي عن كل مصيبة ومحنة. فلله ما في ضمن البلايا والمحن من
الاسرار والحكم. وكل هذا - 00:12:20

الصادر عن علمه وكمال خبرته باعمالكم وظواهركم وبواطنكم. ولهذا قال والله خبير بما تعملون. ويحمل ان معنى قوله لكى لا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم. يعني انه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم. لكي تتوطن نفوسكم. وتمردوا على - 00:12:40
الصبر على المصيبات ويخف عليكم تحمل المشقات ان الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء؟ قل ان الامر كله لله انا هنا قل
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضى - 00:13:00
ثم انزل عليكم من بعد الغم الذي اصابكم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم. ولا شك ان هذا بهم واحسان وتثبيت لقلوبهم. وزيادة
طمأنينة. لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف. فإذا زال الخوف عن القلب - 00:14:00
امكن ان يأتيه النعاس وهذه الطائفة التي انعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم الا اقامة دين الله ورضا الله
ورسوله ومصلحة اخوانهم المسلمين. واما الطائفة الاخرى الذين قد اهتمهم انفسهم فليس لهم هم في غيرها لنفاقهم او ضعف ايمانهم
- 00:14:30

فالهذا لم يصبهم من النعاس ما اصاب غيرهم. يقولون هل لنا من الامر من شيء؟ وهذا استفهام انكاري. اي ما لنا من الامر اي النصر شيء
فأسعوا الظن بربهم وبنبيه. وظنوا ان الله لا يتم امر رسوله. وان هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله - 00:14:50
قال الله في جوابهم قل ان الامر كله لله. الامر يشمل الامر القدري والامر الشرعي. فجميع الاشياء بقضاء الله وقدره عاقبة النصر
والظفر لا ولائه واهل طاعته. وان جرى عليهم ما جرى. يخفون. يعني المنافقين في انفسهم ما لا يبدون لك. ثم - 00:15:10
الامر الذي يخفونه فقال يقولون لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان لنا في هذه الواقعه رأي ومشورة ما قتلناها هنا وهذا انكار منهم
وتکذیب بقدر الله. وتسفیه منهم لرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورأي اصحابه وتزکیة منهم لانفسهم. فرد الله - 00:15:30
وعليهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم التي هي ابعد شيء عن مظان القتال لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم. فالناسف وان
عظمت انما تنفع اذا لم يعارضها القدر والقضاء. فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا. بل لابد ان يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ -
00:15:50

من الموت والحياة ولبيتلي الله ما في صدوركم ان يختبر ما فيها من نفاق وايمان وضعف ايمان وليمحص ما في قلوبكم من وساوس
الشيطان وما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة. والله علیم بذات الصدور. اي بما فيها وما اكتته. فاقتضى علمه وحكمته - 00:16:10
مقدرة من الاسباب ما به تظهر محببات الصدور وسرائر الامور ببعض ما كسبوا. ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور يخبر تعالى عن حال
الذين انهزوا يوم احد. وما الذي اوجب لهم الفرار وانه من تسوييل الشيطان - 00:16:30

انه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين ادخلوه على انفسهم ومكثوه بما فعلوا من المعاصي. لانها مرکبه ومدخله. فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان لهم من سلطان. قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ثم اخبر انه عفا عنهم بعدهما فعلوا ما يوجب 00:17:00 -

والمؤاخذة والا فلو اخذهم لاستأصلهم. ان الله غفور للمذنبين الخطائين. بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار. والمصائب مكفرة حليم لا يعادل من عصاه بل يستأنني به ويدعوه الى الانابة اليه والاقبال عليه. ثم ان تاب واناب قبل منه 00:17:20 -
يراه كأنه لم يجري منه ذنب ولم يصدر منه عيب. فللله الحمد على احسانه - 00:17:40